مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (36) العدد (4)2014
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (36) No. (4) 2014

مفهوم العذرية بين إبداع الشاعر وخيال الراوي

الدكتور عدنان أحمد*
حنين بدور**

(تاريخ الإيداع 3 / 3 / 2014. قبل للنشر في 23 / 7 / 2014)

□ ملخّص □

يحاول البحث قراءة النص الشعري والأخبار النثرية ؛ للوقوف على العناصر المكونة لمفهوم العذرية لدى الشاعر العذري؛ إذ لم تكن صورة المثل الأعلى للحبيبة في الشعر العذري صورة معنوية نفسية مجردة فحسب، وإنما تأخذ إلى جانب ذلك أبعادها الحسية وكيانها الجسدي. خلاف ما وجد لدى الراوي في القصة النثرية؛ إذ لم تكن صورة الحبيبة بأبعادها الحسية أو الجنسية جزءاً من مفهوم الحب العذري، ولا عاملاً من عوامل بقائه ؛وفقاً لتصور الرواة؛ ولذا فإن العفة مطلقة في أخبار العذريين من غير أن تكون كذلك في شعرهم. وهذا ما حاول البحث كشفه؛ معتمداً في ذلك على إضاءات من مناهج الدرس الأدبي المتعددة؛ أملاً في الوصول إلى قراءة دقيقة لمفهوم العذرية لدى الشاعر والراوي، بما يخدم الغاية المنشودة من البحث.

الكلمات المفتاحية: العذرية، إبداع، خيال، الشاعر، الراوي .

* أستاذ_ قسم اللغة العربية– كلية الآداب والعلوم الإنسانية– جامعة تشرين – اللاذقية–سورية.
** طالبة دراسات عليا(ماجستير)–قسم اللغة العربية – كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة تشرين – اللاذقية – سورية.

مجلة جامعة تشرين للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (36) العدد (4)2014
Tishreen University Journal for Research and Scientific Studies - Arts and Humanities Series Vol. (36) No. (4) 2014

The concept of Platonism between the creativity of the poet and imagination of narrator

Dr. Adnan Ahmad[*]
Hanin Baddor [**]

(Received 3 / 3 / 2014. Accepted 23 / 7 / 2014)

□ ABSTRACT □

The research tries to read the poetic text news, to stand on the constituent elements of the concept of Platonism to the platonic poet; since the ideal image of beloved in platonic poetry, was not just amoral psychological image, but takes along that its sensory and physical entity dimensions. Contrary to what was found with the narrator in the prose story; where the image of beloved by its sensual or sexual dimensions was not apart of the concept of platonic love nor a factor of its survival according to the perception of the narrators, and therefore the chastity is absolute in platonics news without being as well as in their poetry. This what the research tried to discover, depending on illuminations form multiple literary approaches, hoping to reach an accurate reading of the concept of Platonism to the poet and narrator, in order to serve the objective of the research.

Keywords: Platonism ,creativity ,imagination.

[*]**Professor, Department of Arabic, Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Lattakia, Syria.**
[**]**Postgraduate student, Department of Arabic, Faculty of Arts and Humanities, Tishreen University, Lattakia, Syria.**

مقدمة:

لقد دخلت عناصر متنوعة في تشكيل مفهوم العذرية والغزل العذري كما يتجلى في الدراسات النقدية المعاصرة، ما أدى إلى ضبابية في فهم معنى العذرية، وهي ضبابية أدت إلى تباين شديد في آراء النقاد والدارسين؛ إذ إن معظم الدراسات كانت محكومة بالرؤية المتطرفة لأصحابها الذين كانوا ينطلقون من افتراض مبني على استنطاق مسرف لأشعار العذريين، أو على استنباط مفرط لأخبارهم.

أهمية البحث وأهدافه:

تكمن أهمية البحث في الكشف عن تجليات العذرية وفق خطين متوازيين، أحدهما يمثله الشعر، والآخر يمثله النثر (الحكايات والأخبار)؛ ما أتاح له فرصة الوقوف على مفهوم العذرية لدى الشاعر والراوي؛ لبيان ما ترتب على اختلاف هذا المفهوم من تفسير الشعر العذري.

يهدف البحث إلى رصد أهم العناصر المكونة لمفهوم العذرية لدى الشاعر العذري والراوي ، وما ترتب على ذلك من اختلاف صفات العاشق العذري والمعشوقة ومفهوم العلاقة بينهما بين الشاعر والراوي.

منهجية البحث:

يتميز مفهوم العذرية لدى الشاعر والراوي بتعدد العناصر المشكلة له، وسيحاول البحث استجلاء هذه العناصر، وتحديد دورها في تشكيله. ولم يلتزم البحث منهجاً محدداً بل غرف من كل منهج بما يحتاج ؛ أملاً في الوصول إلى قراءة دقيقة لمفهوم العذرية لدى الشاعر والراوي بما يضمن للبحث نتائج محددة .

العذرية في الدراسات النقدية المعاصرة:

لقد ذهب الدارسون في مفهوم العذرية مذاهب شتّى، ففريق يرى فيها عفافاً وزهداً، وآخر يرى فيها عجزاً ونفاقاً؛ إذ عدت فئة من الكتاب والباحثين الغزل العذري عفة منزهة عن الشهوة ومطالب الجسد ومثلاً عالياً لحب العاطفة وتساميها ([1])، وأثراً من آثار تغيير الإسلام، وما أحدثه في النفوس من إيمان بخلود الروح، وما بعد الموت من جزاء، جعل العذريين يسلكون مسلكاً يقارن بمسلك الزهاد والأتقياء، بما وفقوا بين الزهد ومطالب العاطفة، فأطاعوا بذلك قلوبهم ودينهم([2])، فحسبوا من الشهداء؛ تمثلاً بالحديث الموضوع على رسول الله صلى الله عليه وسلم(من عشق فعف فمات دخل الجنة) وفي رواية أخرى (من عشق فعف، فمات فهو شهيد) وفي رواية أخرى (من عشق وكتم وعف وصبر، غفر الله له، وأدخله الجنة).وتناقض هذه الآراء آراءٌ تجد أن العفة في الحب العذري لم تكن مجرّدة من الرغبة، وإنما كانت مقتصرة على رفض الفعل([3])، فالحب العذري شهواني، نرجسي، يتعمّد أصحابه تعذيب النفس دون غاية

---

[1] **الحب العذري نشأته وتطوره ،أحمد عبد الستار الجواري ،بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ،الطبعة الأولى ، 2006م ، ص55.**

[2] **تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام، من امرئ القيس إلى ابن أبي ربيعة، شكري فيصل، بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة السابعة،1986م، ص 324.**

[3] **سوسولوجيا الغزل العذري،الطاهر لبيب، ترجمة مصطفى المسناوي، بيروت، دار الطليعة، الطبعة الثانية، 1988،ص123.**

واضحة، لمجرد الاستمتاع بالألم والهيام فيه، منصّب على ذات الشاعر ومشاعره وأحاسيسه وخياله، لا على محبوبته، ولذا فهو نوع من أنواع النفاق([4]).

اعتمدت معظم المؤلفات العربية التي عرضت لدراسة الحب العذري على عدة عناصر في تشكيل مفهوم العذرية في الشعر العذري؛ إذ اشترك الشعراء العذريون في أغراض العشق، وإن لم تكن بصورة واحدة ، ولا بقدر متساو، وإنما اختلفت بين شاعر وآخر حسب درجة استعداده النفسي وطريقة تفكيره وتجاربه الإنسانية، فبدت أشعارهم نسيجا متقارباً له خصائصه ومزاياه، فمن خصائص هذا الحب وطبيعته:

- الوحدانية في الحب :

يتعلق المحب العذري بمحبوبة واحدة فقط ، يرى فيها الغاية القصوى للجمال الأنثوي؛ إذ يعرف المحب العذري غالباً مقروناً بمحبوبة ، مثل جميل بثينة وقيس ليلى، قيس لبنى ....، فيقضي حياته من فرط الصبابة، ولسانه لايزال يردد اسم الفتاة، أو المرأة التي علقها **قال قيس بن الملوح:**

سرَت في سَوادِ القَلبِ حَتّى إذا انتَهـى
بِـها السيرُ وَارتادَت حِمى القَلبِ حَلَّتِ

فلِلعيـن تسكـابٌ إذا القلــبُ مَلَّها
وللقلــبِ وسْـوَاس إذا العين مَلَّــت

ووااللّهِ ما في القَلبِ شَيءٌ مِنَ الهَوى
لأُخْـرَى سِـواها أَكثَرَت أَم أَقَلّــتِ([5])

- الصدق والإخلاص في الحب:

يعد حب العاشق العذري حباً صادقاً، ملأ عليه قلبه ونفسه كلها، فلا تلتفت إلا إلى المحبوب الواحد المشغولة به، يقول جميل بن معمر:

أَلَا هــــــلْ إلى إلـــــمامَـةٍ أنْ أُلِمَّها
بُثَيْنَةَ ، يـــــــــــوماً في الحَيَاةِ سَبِيلُ؟

فإنْ هيَ قالتْ :لا سَبِـــــــيلُ فَقُلْ لَهَا:
عَناءٌ على الـــــــــــعُذْرِيّ مِنْكِ طَوِيلُ

عَلَى حِينَ يَسْلُو النَّاسُ عَنْ طَلَبِ الصِّبا
وَيَنْــسى اتِّباعَ الوَصْلِ مِنْهُ خَلِيلُ([6])

[4] **في الحب والحب العذري ،جلال العظم ، سورية، دار المدى، الطبعة الثامنة،2007،ص75.**

[5] **ديوانه، شرح وتحقيق عدنان زكي درويش، دار صادر، الطبعة ،بيروت،1994،ص 60.**

[6] **ديوانه،ص160.**

وهذا قيس بن ذريح يصف عاطفته الحارة ومشاعره الصادقة و الملتاعة:

إلى الله أشـــــــكو ما ألاقي من الهوى

ومن حـــــرق تعتـــــــــــادني وزفيـر

ومن حرق للـــــــــحب في باطن الحشا

وليل طويل الحزن غير قـــــــصير([7])

– الديمومة:

عاش هؤلاء الغزلون تجربة عاطفية اتسمت بالديمومة والاستمرارية، فقضى كل محب حياته رهناً لحب واحد، قديم متجدد متصل، لا يبلى ولا يحول:

وَقَدْ كَانَ حُبَّيْكُـمْ طَرِيفاً وَتَالِداً

وَمَا الحُـبُّ إلا طَارِف وَتَلِيـدُ

ولا يفلح فيه لوم العذال أو زجر الزاجرين:

أَلَا أيُّها الحُبُّ المُبَرِّحُ هَلْ تَرَى

أخَا كَلَـفٍ يُغْرِي بِحُبٍّ كَمَا أُغْرِي

أجِدَّكَ لا تَبْلى وقد بَلِيَ الهَوَى

وَلَا يَنْتَـهي حُـبِّي بُثَيْنَةَ للزَّجْرِ([8])

. الأسى والحرمان:

وهي سمة معنوية تميّز شعرهم وتجاربهم، فما الحب عندهم إلا هذه الدموع المنهمرة وحر الجوى والأسى نتيجة للهجر والحرمان، يقول قيس بن ذريح :

هل الحـبُّ إلَّا عَبْـرةٌ بعدَ عبرةٍ

وحرٌّ على الأحشـاءِ ليسَ لـهُ بـردُ

وفيضُ دموعِ العين باللَّيلِ كُلّما

بدا عَلَمٌ من أرضِكُم لم يكن يبدو؟([9])

لقد وصل العذري إلى درجة اليأس، وإن اختلفت درجته من شاعر إلى آخر، فهذا جميل قد ضاق ذرعاً من كلفه ببثينة، فيطلب من قلبه أن يسلوها ويدع ذكرها، فهي تبخل عليه بالوصل وتؤيسه من النيل:

أَلَا مَـــــنْ لِقَلْـبٍ لا يَـمَلُّ فَيَذْهَـلُ

أَفِـقْ فالتَّعَـزِّي عَنْ بُثَيْنَةَ أجْـمَلُ

سـلا كُـلُّ ذي وُدٍّ عَـلِمْـتُ مَكانَهُ

وأنـتَ بِهَـا حَتَّى المَـمَاتِ مُوَكّلُ

فَيَـا قَلْـــبُ دَعْ ذِكْرَى بُثَيْنَةَ إنَّهـا

وإنْ كُنْـــتَ تَهْـواها تَضِنُّ وَتَبْخَلُ

---

[7] **ديوانه ، شرحه عبد الرحمن المصطاوي ،دار المعرفة، الطبعة ،بيروت، لبنان ،ص65**

[8] **ديوان جميل،ص56.**

[9] **ديوانه، ص78.**

وَقَدْ أَيْأَسَتْ مِـــنْ نَيْلِهَا وَتَجَهَّمَتْ

وَلَلْيَأْسُ إنْ لم يُقْدَرِ النَّيْلُ أمْثَلُ([10])

– العفة المحضة:

وصل العذريون إلى مرتبة سامية في هذا الحب، فعرف المحب العذري بعفة النفس وصدق الحديث. يقول جميل بن معمر واصفاً روحه الهائمة في محبوبته بعزة نفس وعفة قلب، ورفعة روح ، متفاخراً بهذا الموقف الروحي الذي يترفع عن دنايا الحياة ويسمو محلقاً عن الفواحش والخطايا:

ما إن دعاني الـــهوى لفاحشة

إلا نهــاني الحيـــاء والكرم

فـلا إلى محرم مـــــددت يدي

ولا مشـــــت بي لزلة قدم([11])

وهذا قيس بن الملوح يقول:

أحبك يا ليلى عـــلى غير ريبة

وما خير حـــبٍّ لا تعِفُّ ضمائره

بهذه اللغة المتسامية والصفات المثالية صاغ الدارسون العرب مفهوم الحب العذري؛ فارتبط وجود العذرية بهذه الصفات .

لقد تجسد جوهر الحب العذري في معظم المؤلفات العربية في البحث عن (مثل أعلى) في الحب وفي المحبوب؛ إذ لم تكن صورة المثل الأعلى ذاتية فقط، إنما كانت محصلة لمعايير ثقافية واجتماعية، فضلاً عن العامل الذاتي (العامل النفسي)، فتفرد المحب العذري في حبه لمحبوبته ، يقول قيس بن ذريح :

أحبك أصنافاً من الحب لم أجـد

لها مثلاً في سائر الناس يـوصفُ

فمنـهنّ حـبٌّ للحبيب ورحـــمة

بمعـرفتي منــه بمـــا يتكّلـــف

ومنهنّ ألا يعرض الـــدهرَ ذكرُها

علـى القـب إلا كـادت النفس تتلفُ

وحبٌّ بدا بالجسم والـــلون ظاهرٌ

وحـبٌّ لدى نفسي من الروح ألطفُ

وحـبٌّ هو الداءُ العياءُ بعينـــه

لـــهُ ذِكرٌ تعـدو عليّ فأدنفُ ([12])

[10] **ديوان حميل ،ص163**

[11] **نفسه،169.**

[12] **ديوانه، ص96**

ويتجسد المثل الأعلى في المحبوبة فإذا :

هِـيَ البَـدْرُ حُسْناً والنِّسَاءُ كَوَاكبٌ

وَشَتَّـانَ مـا بيـنَ الكَـواكِبِ والبَدْرِ

لقد فُضِّلَتْ حُسناً على النَّاسِ مِثْلَما

على ألفِ شَهْرٍ فُضِّلتْ ليلةُ القَدْرِ([13])

وصورة المثل الأعلى للحبيبة في الشعر العذري، لم تكن معنوية نفسية مجردة فحسب، كما قد يظن([14]) وإنما تأخذ إلى جانب ذلك أبعادها الحسية وكيانها الجسدي؛ إذ إن الدارس لأشعار العذريين الذين يوسمون بالروحانية والعفاف والبعد عن الحسية، لا يجد أن شعرهم مبرأ كل البراءة من الحسية، ولا كان روحانياً خالصاً؛ فالشاعر العذري شأنه شأن كل رجل، يميل إلى المرأة ويتغنى بجمالها، فجاء وصفه لمعشوقته وصفاً غريزياً، اشتهى فيه جسدها، يقول جميل بن معمر في بثينة:

سَبَتْنِي بِعَيْنَيْ جُـؤْذَرٍ وَسْـطَ رَبْرَبٍ

وَصَـــــدْرٍ كَفَاثُورِ الرُّخَامِ وجِـــيدُ

تَـزِيفُ كمـــا زَافَتْ إلى سَلِفَاتِها

مُـــــبَاهِيَةٌ طَيَّ الـوِشَاحِ مَيُودُ ([15])

ويصف قيس بن ذريح لبنى:

لهــا كفـلٌ يَرْتَجٌ منها إذا مشـتْ

ومتنٌ كغصن البان مُضْطمِرُ الخَصْر([16])

وتظهر رغبة قيس بن الملوح في ليلى:

إن الشِّفاءَ عِناقُ كُلِّ خَـــــرِيدَةٍ

كـــــــالخَيْزُرانةِ لا نمَلُّ عِناقَها

بيضٌ تُشَبَّهُ بالحِـــــقاقِ ثُدِيُّها

من عاجَةٍ حَكَتِ النَّدِيُّ حـــــقاقَها

زانتْ روادِفَها دِقاقُ خُـــــصورِها

إنّي أُحِبُّ من الخُـــــــصورِ دِقاقَها

إنَّ الّتِي طَرَقَ الرّحالَ خيـــاُلها

ماكنـــــــتُ زائرَها ولا طَرَّاقَـها([17])

---

[13] **ديوان جميل،ص104**

[14] **ممن ظن ذلك د. طه حسين(انظر : حديث الأربعاء ،ص302)**

[15] **ديوانه ،ص61.**

[16] **ديوانه ،ص 92.**

[17] **ديوانه،ص213.**

لقد جمعت صورة المحبوبة إلى أبعادها المعنوية أبعاداً حسية، وضمت إلى الجمال الداخلي جمالاً خارجياً ينم عليه. وهذه الأبعاد الحسية للمحبوبة (المثل الأعلى) إنما هي محصلة لصفات الجمال الجسدية المرغوبة عند الشاعر، وعند مجتمعه الذي نشأ فيه، وتشرب منه ذوقه الجمالي . كما أن مفهوم الحب في أساسه يتداخل في العشق والرغبة في التوحد بالمحبوب أو الاندماج معه في كيان واحد، أو التعانق على أقل تقدير، وفي كل هذا ليس الأمر موقوفاً على عملية نفسية وجدانية خالصة، وإنما تتداخل معها الرغبة الحسية، أو التجسيد الحسي للرغبة النفسية في التوحد:

نعِمَ لِـــــــــحَافُ الفَتَى المَقْرُورِ يَجْعَلُهَا

شِعارَهُ حِينَ يُـــــــــخْشَى القُرُّ والصَّرَدُ

وَمَا يَـــــــــضُرُّ امْرأً يُمْسِي وَأَنْتِ لَهُ

أَلّا يَكُـــــــــونَ مِنَ الدُّنْيَا لَهُ سَبَدُ([18])

يقول قيس بن ذريح:

لعمري لـــــــــمن أمسى وأنت ضجيعهُ

من الناس ما اختيرت عليه المضاجعُ([19])

أما أن يقال إن الشاعر العذري لا يتطرق (إلى أية أوصاف حسية في محبوبته ولا يتحدث عن مقومات جمالها، لا بمقياس مثال تقليدي ، ولا بآخر واقعي)([20])، فهذا قول يجانبه الصواب، إذ لا يعتمد على استقراء أشعار العذريين أنفسهم، التي نجد فيها خلاف ما ذكر. بل إن خفقان الحب قد يبعثه_ وكثيراً ما يبعثه_ مثير حسي؛ فأول بيت من أول قصيدة في ديوان جميل يطالعنا بلقطة تصويرية، تظهر فيها بثينة وقد أطارت الريح عنها رداءها، فيحدث هذا المنظر أثره الخطير في نفس الشاعر، حتى ليتقدم ذكر الأثر سابقاً المؤثر:

لقد أَوْرَثَتْ قَلْبي وكـــانَ مُصَحَّحاً

صَـــدْعاً يـــومَ طـــارَ رِداؤُهَا([21])

لقد أحدثت بقلبه صدعاً شديداً بعد أن كان صحيحاً. وصار هذا الصدع ميراثاً لا يفني ما بقى هذا القلب ينبض. إن ما ظهر من حبيبته لما طار عنها ثوبها لم يكن سوى محاسن حسية أو مثير حسي أورثه هذا الصدع، والصدع لم يأت لأنه رأى هذا الجمال فحسب، ولكنه رآه فأعجبه، ولكن المنال عزيز، دونه صحراء من الحرمان أقامها الشاعر وأقامتها الأعراف والتقاليد، فلا يمكنه تجاوزها إلى الوصال، فكان الصدع الذي لا يرجى له شفاء ، وفي بقية القصيدة أوصاف معنوية، واختلاط للأوصاف الحسية بالأوصاف المعنوية في وصفه لها، وهو يسمي هذا الوصف ثناء عليها:

---

[18] ديوان جميل،ص59.

[19] ديوانه ،ص106

[20] الشعر العربي في القرن الأول الهجري،د .محمد مصطفى هدارة، دار العلوم العربية، الطبعة الأولى. ص49.

[21] ديوانه، ص23.

فَهـذا ثَنائِـي إنْ نَأَتْ، وإذا دَنَـتْ

فكيفَ علينا ليتَ شِعْري ثناؤها؟([22])

إن هذه الأوصاف الحسية التي وجدت في القصيدة جلها، إن لم يكن كلها، أوصاف تقليدية عناصرها موروثة، بخلاف البيت الأول الذي كشف بجلاء عن تأثير الجانب الحسي في تجربة حبه.

ووصف الشاعر العذري حبيبته ومحاسنها الحسية لم يكن لينقص من عذريته مادام لم يتعلق بهذا الجمال الحسي الراهن ذلك التعلق الذي ينسيه شوقه إلى مثله الأعلى ، بل إن هذا الجسد، جسد حبيبته، كان الصورة المادية المعادلة للمثل الأعلى، فهذه الصفات التي تتناول جماله المادي المحسوس في القصيدة قد تكون كنايات وإشارات إلى جمال داخلي يكتنفه هذا الجمال الظاهري. لقد أقر طه حسين أن الغزل العذري لم يكن روحانياً خالصاً، ولذا لم يستطع الأدب العربي في وقت من الأوقات أن يبرأ من المادة ، ولكن الإسلامي أضاف إلى المادة الحب، وما يترك في القلب من أثر . لقد وصف قيس بن ذريح وجميل والمجنون أجسام صواحبهم وصفا مفصلاً، لا يخلو من دقة وتحقيق، ولكن هذا الوصف لم يكن غايتهم ، وإنما كان وسيلة إلى وصف ما تلقى نفوسهم من الشقاء بالحب ، أو البؤس والنعيم ([23]). ولذا كان الشاعر العذري، وهو في غمرات العذاب والبلاء، يستحضر صورة معشوقته التي هي في عينيه وشعوره صورة الجمال المعنوي الذي يبعث الشعور بالجلال وقداسة الجميل . وكان الذي يتبع وصف الجمال وصف ما يفعل بالمحب من العذاب، وليس ما يحدث فيه من ظمأ و توق؛ فالأمر في أوصاف المحبوبة الحسية هذه، قد يكون راجعاً إلى أن الإنسان عندما يحب شيئاً أو أحداً يكني عنه، ويتمهل عنده مطيلاً الحديث عنه و إليه، ويطيل التأمل فيه ليراه من كل زاوية وتحت كل ضوء، فتتداخل الأوصاف المختلفة لديه لهذا الشيء الواحد أو الفرد الواحد مكونة نسيجاً متشابكاً، لا يمكن أن يفصل ما هو حسي فيه عما هو غير حسي؛ لأن هذه الأوصاف قد اجتمعت عند الشاعر في بؤرة واحدة هي رؤيته الخاصة لموضوعه الجمالي (حبيبته) الذي يلهج بذكره، فيصور آلام البعد، وعذاب الفراق، ولوعة المكابدة، وحرارة الحرمان من غير طائل، وقد يصل الأمر بالشاعر إلى أن يرضى من حبيبته أن تقول له (لا) إذا دعاها للقاء أو أن تعده ولا تفي بهذا الوعد، أو أن تُؤمِّله ثم تخيّب ذلك الأمل، فإذا يئس من لقائها اكتفى بنظرة سريعة إليها لعلّ تلك النظرة تطفئ ما في فؤاده من لوعة الوجد، يقول جميل بن معمر:

وإنــي لأرْضَــى، مــن بثينة، بالذي

لوَ ابْصَرَه الــواشي، لَقَرّتْ بَلابلُهْ

بــِلا، وبــألّا أستطِيــعَ، وبالمُنَــى،

وبــالأملِ الــمرجوِّ قد خابَ آمِلُهْ

وبالنظـرة العَجْلَى، وبالحَولِ تنقضي

أواخِرُه، لا نــلتقي، و أوائِلُهْ([24])

[22] **نفسه،ص23.**

[23] **حديث الأربعاء، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الثانية، 1974م،ص 229 وما بعدها.**

[24] **ديوانه ،ص168.**

فالموضوع الذي استغرق شعر الشاعر العذري، هو البحث عن المرأة الوحيدة المعشوقة دون أن يصل إليها، وإن يطلبها فلا يحصل منها إلاَّ على طيف الزيارة، وبعض الحديث، فتثور في نفسه مكامن اللوعة والحسرة، يقول جميل ابن معمر :

لا والذي تَســـــجُدُ الجبِاه لهُ
مـــــالـي بـــما دونَ ثوبِها خبَرُ
ولا بفيِها ولا همـــــَـــمتُ به
ما كـانَ إلاّ الحـــــديثُ والنـّظرُ([25])

ولم يخرج قيس بن الملوح عن الحالة ذاتها، فيقول:

تتوق إليـــك النـفس ثم أردها
حياء ومثلي بالحـــياء خلـــيق

للغة الشعرية في الغزل العذري بنيتها الخاصة ما بين الواقع والخيال؛ إذ قد تحيل من خلال مدلولاتها ومفرداتها على واقع موجود بالفعل، غير أنه لا يمكن التعبير عنه مباشرة أو محاكاته؛ بسبب رقابة اجتماعية أو دينية أو سياسية؛ إذ إن الأبيات التي تشير إلى حالة الرضا التي يتمتع بها المحب العذري من عفة وألم وعناء في هذا الحب لا يمكنها أن تخفي رغبة في التقارب تشهد عليها أبيات أخرى، فيبدو حرمان الشاعر رغبة في قضاء لبانة؛ وقد تكون هذه اللبانة حديثاً ونجوى :

فيـا ليـت كـل اثنين بينـهما هوى
مـن النـاس والأنعـام يلتـــــقيان
فيقضـي حبيب مـن حبيب لبانةً
ويرعاهمـــــا ربـي فلا يُرَيان([26])

وقد تكون عناقاً:

كأنَّ فَتيِـــتَ المِـــسْكِ خَالَطَ نَشْرَها
تُغَـلُّ بـــه أرْدَانُهـــا والمَرَافِـــقُ
تَقُـــومُ إذا قامَـــتْ به عن فِراشها
وَيغْدُو به مِنْ حِضْنِها مَنْ تَعانِقُ([27])

[25] **ديوان جميل،ص89**
[26] **ديوان عروة بن حزام،ص 90**
[27] **ديوان جميل،ص110.**

وقد تكون قبلاً :

فَيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَبِيتَـــنَّ لَيْلَةً

كَلَيْلَتِنَـا حَتَّـى يُـرَى سَاطِعُ الفَـجْرِ؟

تَجُـودُ عَلَيْنَا بالـحَـــــدِيثِ وَتَارَةً

تجُودُ عَلَيْنَا بالرُّضَابِ مِـنَ الثَّغْرِ([28])

وقد تكون رغبة في إشباع حقيقي باعثه الجسد :

وَإِنِّي لَمُشْتَـاقٌ إلى رِيـــــحِ جَيْبِها

كَمَا اشْتَاقَ إِدْرِيسٌ إلى جَنَّةِ الخُـــلْدِ

في شعر العذريين ما يناقض العذرية المفروضة عليهم من طهارة وبراءة وعفة؛ فقد شبب العذريون بصواحبهم وشهروا بهن، فلم يكتموا حبهم ابدا ، بل كانوا يفشون تجاربهم وأسماء حبيباتهن حدّ الانفضاح . ومنهم من وقع في مصيدة الكتمان " الشعري " كجميل الذي قال بيتا من الشعر يؤكد فيه أنه سيكتم حب " بثنة " كما يسميها، ولن يكشفه وهو وعبر ذكر اسمها في البيت الشعري قد نشرها وفضحها في الآفاق بقوله:

لَا لَا أَبُوحُ بِـــــــــــحُبِّ بَثْنَةَ إِنَّها

أَخَذَتْ عَلَيّ مَوَاثِقاً وَعُـــــــــــهُودَا

وقد استمتعت العشيقات بدورهن ، بهذا الهيام والتشبيب، إذ تروي الأخبار أن بثينة لما أخبرت بنسيب جميل بها، حلفت بالله لا يأتيها على خلاء إلا خرجت إليه ولا تتوارى منه([29])، وقد فطن ابن حزم بنظره الثاقب إلى هذه الحقيقة فكتب عنها القول المفصّل : " وقرأت في بعض أخبار الأعراب أن نساءهم لا يقنعن ولا يصدّقن في عشق عاشق لهن حتى يشتهر ويكشف حبه ويجاهر ويعلن وينوه بذكرهن ، ولا أدري ما معنى هذا ، على أنه يذكر عنهن العفاف ، وأي عفاف مع امرأة اقصى مناها وسرورها الشهرة في هذا المعنى "([30]).

من المثالية الغالية أن يقال إن الحب العذري لا يعظم الحاجة الجسدية، وهي فيه عنصر ثانوي، يدخله بعد تمكن الألفة، ومن هنا امتاز عن الحب الجسدي الذي يبدأ من الشهوة([31]). إن مبنى هذه النظرة يدل على فهم يعد الحب العذري ضرباً من التصوف في روحانيته وتساميه ومثاليته؛ وهي نظرة غير صحيحة ، فلم يكن الحب العذري حباً للحب فقط، ولم تصحبه رغبة في المحبوب، وهذا يخالف حقيقة ما جبل عليه الإنسان من حب الشهوات ؛إذ فات المغالين في روحانية الحب العذري أن الحب بين رجل وامرأة هو في نواته الأولى ميل عاطفي يقوم على غريزة

---

[28] ديوان جميل،ص90.

[29] الأغاني،ج 8،ص90

[30] طوق الحمامة في الألفة والألاف لابن حزم الاندلسي، شكله وعلق حواشيه، نزار وجيه فلوح، راجعه ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، لبنان ،بيروت،2003، ص42.

[31] الحب العذري ، عبد الستار الجواري ، ص50.

جنسية([32])، ولكنه يتخذ أشكالاً متنوعة من التعبير والسلوك، منها التعويض والتصعيد، ولا يخرج المحب العذري عن هذا ،إذ لا تنفي (مثاليته المفروضة) الرغبة، وإن وضعت لهذه الرغبة حدوداً، هي تحديداً حدود الممارسة الجنسية، إذ يستبعد العذري ممارسة الحب مع حبيبته، ولكنه لا ينفك يطلب جودها:

تَجُـودُ عَلَيْنَا بالـحَـــــدِيثِ وَتَارَةً

تجُودُ عَلَيْنَا بالرِّضَابِ مِـنَ الثَّغْرِ([33])

إن العذري بوصفه إنساناً مهدداً بالكبت _تبعاً لنظرية فرويد_ يعبّر برقة عن رغبة جنسية، يجعل منها عدم الإشباع رغبة يائسة ومرهقة، إذ يتحدث الشاعر عن القبل بوصفها لذة حاصلة على مستوى النصف الأعلى، فيها من الشهوانية ما يمكن عده تعبيراً عن رغبة جنسية محضة، غير أن الشاعر العذري لا يقف عند هذا الحد، إذ له من التوصيف الشهواني ما يجري على بقية النصف الأسفل من الجسد، فلم يعرض عن رؤية الجزء الأكثر إثارة من المرأة ، فحامت حائماته عطشى حول نقطة ماء، كما حامت نظرة جميل قرب كشح كطي السابرية أهيف:

صَيُودٌ كَغُصْنِ البانِ ما فَوْقَ حَقْوِها

وَمَـــا تَحْتَـــــهُ مِنْـها نَقاً يَتَقَصَّفُ

مِـنَ البِيـضِ مِعْطـارٌ يَزِيمُ لَبَانَهَا

جُمَـانٌ وَيَـاقُـــوتٌ وَدُرٌّ مُؤَلَّـــفُ

لَهَـــا مُقْلَتَـــا رِيـــمٍ وَجِيدُ جَدَايَةٍ

وبَطْنٌ كَطَيِّ السَّابِرِيَّةِ أَهْيَـــــفُ ([34])

وكما حامت حائمات قيس بن الملوح إلى خُرّدٍ ليست بسودٍ ولا عُصْلِ:

ليالي أصبُو بالعَشِيَ وبالضُّحـــى

إلـــى خُرّدٍ ليســت بسـودٍ ولا عُصْلِ

مُنَعَّمــةِ الأطرافِ هِيفٍ بطونُهـــا

كواعِبَ تمشي مِشيةَ الخيلِ في الوحلِ

وأعناقُهـا أعناقُ غزلانِ رَمْلَـــةٍ

وأَعْيُنُهَـــا مـن أعينِ البَقَرِ النُّجْـلِ

وأَثْلاثُهـا السُّفْلَى بُرادِيٌّ ساحـــلٍ

وأثلاثُهـا الوُسْطـــى كَثِيبٌ من الرَّمْلِ

وأثلاثُهـا العُلْيـا كأنَّ فُروعَهـا

عناقيـدٌ تُغْذَى بالدِّهانِ وبالغِسْلِ([35])

[32] **الأخلاق عند فرويد ،دمحمد علي العجيلي،الطبعة الأولى،دار طلاس للنشر، دمشق،ص85.**

[33] **ديوان جميل،ص90.**

[34] **ديوان جميل بن معمر ،ص 173.**

إن إقصاء لغة الجسد من القصة العذرية، وجعل النكاح مفسدة للحب؛ كي يبدو العشق عفة والزواج متعة وطلباً للولد؛ وفقاً لتصورات الرواة جعل العفة مطلقة في أخبار العذريين دون ان تكون كذلك في شعرهم؛ إذ يبدو لدارس الأخبار التي رويت عن العشاق العذريين وحبهم أن الحب العذري حب التعفف، والخلاص من سطوة الجنس الذي يفسد الحب وينهيه، ولذا لم يخلط العرب بين الجنس والحب أو الشهوة، إذ ظل الحب في ذلك العصر مقروناً بالعفة ، وإن عشقاً من هذا النوع يجعل المحب يمارس حباً محروماً من الاتصال يعاني فيه العاشق ضروباً من الحرمان والشقاء، إذ لم يكن الاشتهاء أو الإعجاب الجنسي جزءاً من مفهوم الحب ولا عاملاً من عوامل بقائه، بل على العكس، لقد كانوا يعتقدون في قبائل البادية العربية، بل وفي قبيلة بني عذرة تحديداً، أن الجنس يفسد الحب، ويقضي عليه، وقد قالت أعرابية تعلّق على ما وصف لها من فعل العشاق؛ ليس هذا بعاشق ولكنه طالب ولد!! .وقال أعرابي تعليقاً على الفعل الجنسي: هذا مالا نفعله بالعدو ، فكيف بالصديق !![36].

لقد اختلفت صفات العاشق والمعشوقة ومفهوم العلاقة بينهما بين الشاعر والراوي ،إذ تعد صفات العشاق في الشعر العذري متوازنة وأقرب إلى الطبيعية البشرية، إذ عرف المحبون العذريون ضروباً من العشق قبل أن يمسهم طائف الحب ، وعاشوا عيشة تقتضيها الغريزة البشرية ، فعشقوا وسعوا لوصل الفتيات ،وقد عبروا عن ذلك في أشعارهم.

يقول قيس بن الملوح:

محا حبها حب الأولى كنَّ قبلها

وحلت مكاناً لم يكن حُلَّ مـــن قبلُ

فحبي لهـا حبٌّ تمكّن في الحشا

فما أن أرى حبًّا يكون لـــه مثلُ[37]

ويقول جميل ين معمر:

أَلَا مَــنْ لِقَلْبٍ لاَ يمَلُّ فَيَذْهَـلُ

أَفِــقْ فالتَّعَـزِّي عَنْ بُثَيْنَـةَ أَجْمَـلُ

فَمَا هكَـذا أَحْبَبْتَ مَنْ كانَ قَبْلَها

وَلَا هكَذا، فِيمَا مَضَى ، كُنْـتَ تَفْعَلُ[38]

وقد نسب جميل بأم الجسير قبل أن بعشق بثينة، فقال:

يا خَلِـــيلَـــيَّ إنّ أُمّ جُسَيْـرٍ

حِينَ يَدْنُو الضَّجِيعُ من غَلَلِـــــهْ

رَوْضَـــةٌ ذَاتُ حَنْـوَةٍ وخُزَامَى

جَـــادَ فيهَا الرَّبِيعُ مِنْ سَبَلِهْ[39]

---

[35] **ديوانه،ص230.**

[36] **الحب في التراث العربي، محمد حسن عبد الله، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،1401هجري،ص111**

[37] **ديوانه ،ص230.**

[38] **ديوانه،ص161**

[39] **نفسه، ص187.**

إن الأخبار التي وصفت حياة العاشق، بوصفه إنساناً طبيعياً، لم تلقَ الاهتمام ذاته الذي لقيتة الأخبار التي تؤكد عفة العاشق ، وجعلت هذه الصفة لازمة له. فقد عرف العاشق العذري ضروباً من العشق قبل أن يعشق محبوبته ويشهد لها بالوحدانية، و شأنه في ذلك شأن كل رجل، يميل إلى المرأة ويسعى لوصالها؛ إذ كان الإعجاب الجسدي عاملاً من عوامل تأكيد هذا اللقاء واستدامة المشاعر التي استنبتت فيه؛ إذ يذكر في أخبار قيس بن الملوح أنه كان صاحب غزل ومجالسة للنساء، وأنه كان كلفاً بمحادثة النساء ([40])، ويذكر في أخبار عشقه أنه مرّ بنسوة، يتحدثن، فيهن ليلى، عند امرأة من قومه يقال لها كريمة، فدعونه إلى النزول، فنزل وعقر لهن ناقته، وظل يحدثهن بقية يومه، حتى طلع عليهن فتى يقال له منازل، فانصرفن إليه وتركن المجنون([41])، ويذكر في رواية أخرى _ إن صحت_ أن ليلى كانت من أجمل النساء و أظرفهن وأحسنهن جسماً وعقلاً، فبلغه خبرها ونعتت له، فصبا إليها وعزم على زيارتها، (فتأهب لذلك ولبس أفضل ثيابه ورجّل جُمّتَه ومسّ طيباً كان عنده، وارتحل ناقةً له كريمةً برحلٍ حسنٍ وتقلّد سيفه وأتاها، فسلّم فردت عليه السلامَ وتحفّت في المسألة، وجلس إليها فحادثته وحادثها فأكثرا وكلٌ واحد منهما مُقبِلٌ على صاحبه مُعجبٌ به) ([42]).

وفي سبب حب جميل لبثينة أقوال منها أنه كان يأتيها عند غفلات الرجال، فيتحدث إليها وإلى أخواتها. وفي رواية أخرى أنه رآها يوم عيد متزينة. وكان جميل بن معمر مغامراً له ما للفتيان من شؤون مع الفتيات ؛إذ كان ينسب بأم الجسير قبل أن يعرف بثينة ([43]).

وفي سبب حب عروة بن حزام لعفراء، أن والد عفراء عرضها عليه، فأباها، ثم رآها يوم عيد متزينة ،فرأى منها جمالاً بارعاً، ثم خطبها إلى عمه، فمنعه ذلك([44]).

لقد انصب اهتمام الراوي في أخباره عن العشاق على قضايا محددة؛ إمعاناً في دفع المتلقي إلى التعاطف مع العاشق، لذا فإن عدداً من الرواة يعمد إلى اختيار مكان الموت بحيث تباغت المنية العاشق وهو غريب؛ إذ تذكر إحدى الروايات عن موت عروة بن حزام أنه كان عائداً من زيارته لعفراء(فلم يزل في طريقه حتى مات قبل أن يصل إلى حيه بثلاث ليال)([45])، وجميل بثينة توفي في مصر، والمجنون وجد (في واد كثير الحجارة خشن، وهو ميت بين تلك الحجارة)([46]).

وقد يصل الأمر بالراوي إلى اختلاق أساطير تؤكد قداسة الحب، كأن يأتي بنهاية ترمز للحب الخالد فيقول راوي الخبر(رأيت النّاس ينزلون عن محامِلِهم ويركبون دوابّهم. فقلت: أين تريدون؟ قالوا: نريد أن ننظر إلى قبر عفراء وعروة فنزلتُ عن محملي وركبتُ حماري واتصلت بهم: فانتهيت إلى قبرين مُتلاصِقَين، قد خرج من هذا القبر ساق شجرة، حتى إذا صارا على قامةٍ التقيا. فكان الناس يقولون: تآلفا في الحياة وفي الموت!)([47]).

---

[40] الأغاني،ج2، أبو الفرج الأصفهاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،1992، ص14.

[41] نفسه، ص،14.

[42] الأغاني ،ج8، ص42.

[43] نفسه، ص 103.

[44] الأغاني،ج24،ص136.

[45] نفسه،ج24،ص 131.

[46] الأغاني، ج 2،ص 82.

[47] ذم الهوى، أبو الفرج عبد الرحمن بن جوزي، تحقيق مصطفى عبد الواحد ومحمد الغزالي، القاهرة، دار الكتاب الحديثة، الطبعة الأولى، 1982،ص379.

لقد أضفى الراوي في أخباره على العاشق صفات غرائبية تجعل منه إنساناً خارقاً؛ إذ يذكر الراوي في خبره (قبض المجنون بكلتا يديه قبضتين من الجمر، فما فاقهما حتى سقط مغشيّاً عليه، وسقط الجمرُ مع لحم راحتيه، وعضّ على شفته فقطعها.)([48]). ويذكر في خبر آخر كيف أن المجنون ذهب إلى منزل أبي ليلى طالباً ناراً، فأخرجت ليلى (ناراً في عُطبةٍ فأعطتنِيها ووقفنا نتحدّث، فلمّا احترقت خَرقت من بُردي خِرقةً وجعلت النار فيها، فكلما احترقت خرقتُ أخرى وأذكيتُ بها النّار حتى لم يبق عليّ من البرد إلا ما وارى عورتي، وما أعقل ما أصنع)([49]).

لقد تنوعت صورة العاشقة عند الشاعر والراوي، فبدت تارةً على قدر من الجرأة والندية والمبادلة، وقد تميزت بثينة معشوقة جميل بهذه الصفات ؛إذ لطالما ظهرت في حوارٍ مع جميل عن الأهل والوشاة، ومستقبل العلاقة، يقول جميل:

عَشِيَّـــةَ قَالَتْ: لا تُضِيعَنَّ سِرَّنَـا إذا غِبتَ عَنَّا وارْعَهُ حينَ تُدْبِـــرُ

وَطَرْفَـكَ إِمَّا جِئْتَنَـا فاحْفَظَنَّـــهُ فَزَيْـغُ الهوى بادٍ لمن يَتَبَصَّـــرُ

ومـا زِلْتَ في إعْمالِ طَرْفِكَ نحْوَنا لأَهـْلِيَ حَتَّى لامَنِي كُلُّ ناصِـحِ

إذا جِئْتَ حَتّى كادَ حُبُّكَ يَظْهَـــرُ شَفِيـقٍ لَهُ قُرْبَى لَدَيْنا وَأَبْصُـــرُ

وَمَا قُلْـتُ هذا فاعْلَمَنَّ تَجَنُّبـاً لِصَـرْمٍ وَلَا هذَا بِنَا عَنْكَ يُقْصِـــرُ

ولَكِنَّنِـــي _أَهْلي فِداؤُكَ_ أَتَّقِـــي عَلَيْكَ عُيُونَ الكاشِحِينَ وَأَحْذَرُ([50])

وتتضح شخصية بثينة في المبادلة مع عاشقها؛ إذ تصرح برغبتها في وصاله، يقول جميل:

إنّـــي عَشِيَّـةَ رُحْتُ وَهْيَ حَزِينَـةٌ تَشْكُـــــو إلَيَّ صَبَابَةً لَصَبُورُ

وَتَقُـولُ: بِتْ عِنْدِي فَدَيْتكَ !لَيْلَـةً أَشْكُـو إلَيْكَ، فَإِنَّ ذَاكَ يَسِيرُ([51])

[48] **الأغاني، ج2، ص25**

[49] **نفسه،ج2، ص31.**

[50] **ديوانه ،ص90**

[51] **نفسه،ص97.**

وتبثه هواجسها وخوفها من الوشاة:

هَلِ الحَائمُ العَطْشَانُ مُسْقًى بِشَرْبَةٍ مِنَ المُـزْنِ تَرْوِي مَا بِهِ فَتُرِيــحُ

فَقَالَتْ: فَنَخْشَى إنْ سَقَيْنَــاكَ شربَةً تُخَبِّـــرُ أعدائي بها، فتبــوح

إذَنْ فأَبَاحَتْنِي المَنَايَا وَقَادَنـــــي إلى أجَلـي عَضْبُ السِّلَاحِ سَفُوحُ

لَبِئْسَ إذَنْ مَأْوَى الكَرِيمَةِ سِرُّهَــا وَإنِّي إذَنْ مِنْ حُبّكُمْ لَصَحِيحُ([52])

وتروي الأخبار_ إن صحت_ أن بثينة قد تميزت من غيرها من العاشقات بجرأتها و حيلتها؛ إذ لبت موعد جميل في الدّومات ([53])، ولطالما استطاعت التخلص من المآزق الحرجة بوعيها وحسن تدبيرها، فقد احتال جميل للقائها بالتنكر بثياب راع، فعرفته واحتالت على قومها وحبسته لديها ثلاث ليال ([54]).

وتارة ظهرت _العاشقة_ روحاً يناجيها، فتكاد تنعدم الأبيات، التي تظهر فيها نداً للعاشق، فتحاوره أو ترد عليه، يقول قيس بن ذريح:

أراجعــة يا لُبْنُ أيامُنا الأَلَـــى بـذي الطَّلْح أم لا ما لهن رجوع؟([55])

ويقول قيس بن الملوح :

وللّـــه ما أدري عَلامَ هَجَرْتِنِــي وأي أمُـــــورِي فيكِ يا ليلَ أركـــبُ

أأقطـعُ حبلَ الوصل فالموتُ دونَه أم اشـربُ كأســـاً مِنكُمُ ليـس يُشرَبُ

أم أهربُ حتى لا أرى لي مجاوراً أم أفعلُ مـــاذا ؟ أم أبـــــوحُ فأغلبُ؟

فأيُّهُمَــا يا ليلَ ما تفعَيلنَـــــهُ فأوَلُ مـــــهجُورٌ وأخرُ معتَـــبُ([56])

[52] **ديوان حميل،ص 70**

[53] **الأغاني، ج8، ص113.**

[54] **نفسه، ص121**

[55] **ديوانه،ص 113.**

[56] **ديوان قيس بن الملوح ،ص39.**

لم تكن صورة العاشقة عند الراوي مطابقة تماماً لصورتها عند الشاعر، فبدت عند الراوي أقرب إلى المثالية؛ إذ يذكر صاحب الأغاني أكثر من حكاية تثبت_ إن صحت _ أن الراوي كان يرغب في وصف العاشق لمعشوقته بالبخل في الوصال، لأمرين، الأول: كناية عن عفاف العاشقة وصيانتها نفسها، إذ تكشف القصص عن حرص العاشقة على سمعتها وغضبها لكل ما يمس كرامتها ويدّنس سمعتها، فقد أرسل قيس بن الملّوح قيسَ بن ذريح إلى ليلى ليبلغها السلام (فمضى قيس بن ذريح حتى أتى ليلى فسلم وانتسب، فقالت له: حياك الله، ألك حاجة ؟ قال :نعم، ابن عمك أرسلني إليك بالسلام، فأطرقت ثم قالت :ما كنت أهلاً للتحية لو علمت أنك رسوله، قل له عني: أرأيت قولك:

أبَت ليلةٌ بالغَيلِ يـا أمَّ مـــالكٍ

لكم غيرَ حبٍّ صـادقٍ ليس يكذبُ

ألا إنَّمــا أبقـــيتِ يا أمَّ مالكٍ

صَدىً أينما تذهب به الرِّيحُ يذهبِ

أخبرني عن ليلة الغيل، أي ليلة هي، وهل خلوت معك في الغيل أو غيره ليلاً أو نهاراً؟ فقال لها قيس: يا بنة عمِّ، إن الناس تأولوا كلامه على غير ما أراد، فلا تكوني مثلهم، إنما أخبر أنه رآك ليلة الغيل فذهبت بقلبه، لا أنه عناكِ بسوء)([57]).

والأمر الثاني: أن في تصوير العاشقة بالبخل والصد والهجران إشارة إلى تلك الأعراف الاجتماعية للبيئة البدوية، التي تتحرك العاشقة في ظلها، والتي أقامت متاريس الفراق بين الحبيبين، وألبستهما ثياب الحرمان

لقد رسم الراوي صورة معدة للعاشقة؛ إذ نجده قد شرع لها لساناً يدافع عما قاله الشاعر وينفيه، فيخترع مناسبات لا يجمع فيها الشعراء _قيس بن الملوح وقيس بن ذريح _ إلا لهذه الغاية، ويشهد شهوداً على عفة العاشقة، إذ تذكر الأخبار أن كثيراً مرّ على عزة ومعه راويته سائب، فسلم عليها فردت على راويته ولم ترد عليه، وقالت له: (ويحك! ألا تتقي الله ؟ أرأيت قولك:

بآيـــــة مـــــا أتيتكِ أم عـــــمرو

فقمت لـــــحاجتي والبـــــيت خالي

أخلوت معك في بيت أو غير بيت قطُّ؟!([58]).

لقد كثرت الحوارات الدالة على عفة المتحابين ، وهذا ما نجده في أخبار جميل وبثينة_ إن صحت _ ومنها الحوار الذي سمعه أبوها وأخوها، وكانا رصداً لهما؛ إذ روى صاحب الأغاني عن جميل قال: "سعت أمة لبثينة بها إلى أبيها وأخيها وقالت لهما إن جميلاً عندها الليلة فأتياها مشتملين على سيفين، فرأياه جالساً حجرة منها يحدثها ويشكو إليها بثه، ثم قال لها: يا بثينة، أرأيت ودي إياك، وشغفي بك ،ألا تجزينيه، قالت: بماذا؟ قال: بما يكون بين المتحابين. فقالت له: يا جميل، أهذا تبغي والله لقد كنت عندي بعيداً عنه. ولئن عاودت تعريضاً بريبة لا رأيت وجهي أبدا. فضحك

[57] **الأغاني، ج 2، ص86.**

[58] **نفسه، ص42.**

وقال ما قلت هذا إلا لأعلم ما عندك فيه، ولو علمت أنّك تجيبينني إليه لعلمت أنّك تحبين غيري، ولو رأيت منك مساعدة عليه لضربتك بسيفي هذا مع ما استمسك في يدي، ولو أطاعتني نفسي لهجرتك هجرة الأبد، أو ما سمعت قولي:

وإنـــي لأرْضَى، من بثينة، بالذي
لو ابصَرَه الواشي، لَقَرّتْ بَلابلُهْ
بــلا، وبألا أستطيعَ، وبالمُنَـــى،
وبالأمــلِ المرجوِّ قد خابَ آمِلُهْ
وبالنظرة العَجْلَى، وبالحَول تنقضي
أواخرُه، لا نلتقي، و أوائلُــه([59])

فقال أبوها لأخيها: قم بنا ينبغي لنا بعد اليوم أن نمنع هذا الرجل من لقائها، فانصرفا وتركاهما".

ويذكر في خبر عن بثينة، أنه قيل لها (هذا جميل لما به فهل عندك من حيلة تنفسين بها وجده؟ فقالت ما عندي أكثر من البكاء إلى أن ألقاه في الدار الأخرى، أو زيارة وهو ميت تحت الثرى)([60])

وتتفق هذه الحوارات على الغاية ذاتها وهي التدليل على عفة العشاق العذريين، ومما أكد عفة جميل حواره مع العباس بن سهل الساعدي؛ إذ دخل عليه عند احتضاره، فنظر إليه جميل (وقال: يا ابن سهل ما تقول في رجل لم يشرب الخمر قط، ولم يزن، ولم يقتل النفس، ولم يسرق، ويشهد أن لا إله إلا الله ؟ قلت: أظنه قد نجا وأرجو له الجنة، فمن هذا الرجل؟ قال: أنا، قلت له: والله ما أحسبك سلمت وأنت تشبب منذ عشرين سنة ببثينة. قال: لا نالتني شفاعة محمد(صلى الله عليه وسلم)، وإني لفي أول يوم من أيام الآخرة وآخر يوم من أيام الدنيا، إن كنت وضعت يدي عليها لريبة)([61])

الخاتمة:

يمكن القول: لم تكن العذرية مفهوماً موحداً لدى الشاعر و الراوي ؛إذ تكوّن مفهوم العذرية لدى الشاعر من مجموعة من العناصر كان من بينها عنصر العفة، بينما كانت العفة العنصر الوحيد المكوّن لمفهوم العذرية لدى الراوي، ولذا فإن العفة مطلقة في أخبار العذريين دون أن تكون كذلك في شعرهم.

كما اختلفت صفات العاشق والمعشوقة ومفهوم العلاقة بينهما بين الشاعر والراوي ؛إذ تعد صفاتهم في الشعر العذري متوازنة وأقرب إلى الطبيعية البشرية؛ إذ عرف المحبون العذريون ضروباً من العشق قبل أن يمسهم طائف الحب، وعاشوا عيشة تقتضيها الغريزة البشرية ، فعشقوا وسعوا لوصل الفتيات، وقد عبروا عن ذلك في أشعارهم. بينما كانت شخصياتهم في الأخبار أقرب إلى المثالية ، فلم تلق الأخبار التي تصف حياة العاشق ؛ بوصفه إنساناً طبيعياً _

[59] **ديوان جميل بن معمر،ص168.**

[60] **روضة المحبين ونزهة المشتاقين ،ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ص342.**

[61] **وفيات الأعيان ،ابن خلكان، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر. ص370.**

شأنه في ذلك شأن كل رجل، يميل إلى المرأة ويسعى لوصالها_ الاهتمام ذاته الذي لقيتة الأخبار التي تؤكد عفة العاشق، وتجعل هذه الصفة لازمة له.

المراجع:

1- الأخلاق عند فرويد، د محمد علي العجيلي، الطبعة الأولى، دار طلاس للنشر، دمشق.

2- الأغاني، أبو الفرج الأصفهاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،1992.

3- تطور الغزل بين الجاهلية والإسلام من امرئ القيس إلى ابن أبي ربيعة، شكري فيصل، بيروت، دار العلم للملايين، الطبعة السابعة،1986م.

4- الحب العذري ،نشأته وتطوره، أحمد عبد الستار الجواري ،بيروت ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ،الطبعة الأولى ، 2006م .

5- الحب في التراث العربي، محمد حسن عبد الله، الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب،1401هجري.

6- حديث الأربعاء، طه حسين، بيروت، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الثانية، 1974م.

7- ديوان جميل بن معمر، حققه إميل بديع، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، بيروت،1992.

8- ديوان قيس بن ذريح ، شرحه عبد الرحمن المصطاوي ،دار المعرفة، بيروت، لبنان.

9- ديوان قيس بن الملوح ، شرح وتحقيق عدنان زكي درويش، دار صادر ،بيروت،1994.

10- ذم الهوى، أبو الفرج عبد الرحمن بن جوزي، تحقيق مصطفى عبد الواحد ومحمد الغزالي، القاهرة، دار الكتاب الحديثة، الطبعة الأولى، 1982.

11- روضة المحبين ونزهة المشتاقين ،ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

12- سوسولوجيا الغزل العذري، الطاهر لبيب، ترجمة مصطفى المسناوي، بيروت، دار الطليعة، الطبعة الثانية، 1988.

13- الشعر العربي في القرن الأول الهجري، د.محمد مصطفى هدارة، دار العلوم العربية، الطبعة الأولى.

14- طوق الحمامة في الألفة والألاف ،ابن حزم الاندلسي، شكله وعلق حواشيه، نزار وجيه فلوح، راجعه ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، لبنان ،بيروت،2003.

15- في الحب والحب العذري ،جلال العظم، سورية، دار المدى، الطبعة الثامنة،2007.

16- وفيات الأعيان ،ابن خلكان، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر.